

تفسير ابن كثير

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

لما بين [الله] تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجه ، وتعدى في فعل ما لا إذن

فيه وانتهك المحارم ، وما أحل بهم من النكاح ، نبه تعالى على أن من أحسن من الأمم

السالفة وأطاع ، فإن له جزاء الحسنى ، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة ؛ كل من اتبع

الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولا هم يحزنون

على ما يتركونه ويخلفونه ، كما قال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم

يحزنون) [يونس : 62] وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله : (إن

الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة

التي كنتم توعدون) [فصلت : 30] . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر

العدني ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال سلمان : سألت

النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل دين كنت معهم ، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم ،

فنزلت : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر)
إلى آخر الآية . وقال السدي : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن
بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) الآية : نزلت في أصحاب سلمان الفارسي ، بينا هو يحدث
النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكر أصحابه ، فأخبره خبرهم ، فقال : كانوا يصومون
ويصلون ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيا ، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ، قال
له نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان ، هم من أهل النار . فاشتد ذلك على سلمان ،
فأنزل الله هذه الآية ، فكان إيمان اليهود : أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى ، عليه
السلام ، حتى جاء عيسى . فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى ،
فلم يدعها ولم يتبع عيسى ، كان هالكا . وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم
وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لم
يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل - كان
هالكا . وقال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا . قلت : وهذا لا ينافي ما
روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر) الآية فأنزل الله بعد ذلك : (ومن يتبع غير
الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران : 85] . فإن هذا
الذي قاله [ابن عباس] إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان
موافقاً لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه [الله] بما بعثه به ، فأما قبل ذلك
فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة ، فاليهود أتباع موسى ، عليه
السلام ، الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم . واليهود من الهوادة وهي المودة أو
التهود وهي التوبة ؛ كقول موسى ، عليه السلام : (إنا هدنا إليك) [الأعراف : 156] أي
: تبنا ، فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض . [وقيل :
لنسبتهم إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام ، وقال أبو عمرو بن العلاء : لأنهم
يتهودون ، أي : يتحركون عند قراءة التوراة] . فلما بعث عيسى صلى الله عليه وسلم وجب
على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له ، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى ، وسموا بذلك
لتنصرهم فيما بينهم ، وقد يقال لهم : أنصار أيضاً ، كما قال عيسى ، عليه السلام : (من
أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) [آل عمران : 52] وقيل : إنهم إنما

سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة ، قاله قتادة وابن جريج ، وروي عن ابن عباس أيضا ، والله أعلم . والنصارى : جمع نصران كمشاوى جمع نشوان ، وسكارى جمع سكران ، ويقال للمرأة : نصرانة ، قال الشاعر : نصرانة لم تحنفلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ، ورسولا إلى بني آدم على الإطلاق ، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانكفاف عما عنه زجر . وهؤلاء هم المؤمنون [حقا] . وسميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم ، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية . وأما الصابئون فقد اختلف فيهم ؛ فقال سفيان الثوري ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ، ليس لهم دين . وكذا رواه ابن أبي نجيح ، عنه وروي عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك . وقال أبو العالية والربيع بن أنس ، والسدي ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، والضحاك [وإسحاق بن راهويه] الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور . [ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق : لا بأس بدبائحهم ومناكحتهم] . وقال هشيم عن مطرف : كنا عند الحكم بن عتيبة فحدثه رجل من أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول في

الصابئين : إنهم كالمجوس ، فقال الحكم : ألم أخبركم بذلك . وقال عبد الرحمن بن مهدي

، عن معاوية بن عبد الكريم : سمعت الحسن ذكر الصابئين ، فقال : هم قوم يعبدون

الملائكة . [وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن

أبيه ، عن الحسن قال : أخبر زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس . قال :

فأراد أن يضع عنهم الجزية . قال : فخير بعد أنهم يعبدون الملائكة] . وقال أبو جعفر الرازي

: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ، ويقروؤون الزبور ، ويصلون إلى القبلة . وكذا قال

سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ،

أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : الصابئون قوم مما يلي العراق ،

وهم بكوثر ، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً ويصلون إلى

اليمن كل يوم خمس صلوات . وسئل وهب بن منبه عن الصابئين ، فقال : الذي يعرف

الله وحده ، وليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفراً . وقال عبد الله بن وهب : قال

عبد الرحمن بن زيد : الصابئون أهل دين من الأديان ، كانوا بجزيرة الموصل يقولون : لا

إله إلا الله ، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول : لا إله إلا الله ، قال : ولم

يؤمنوا برسول ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه : هؤلاء الصابئون ، يشبهونهم بهم ، يعني في قول : لا إله إلا الله . وقال الخليل هم
قوم يشبه دينهم دين النصارى ، إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب ، يزعمون أنهم على دين
نوح ، عليه السلام . وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن وابن أبي نجيح : أنهم قوم تركب
دينهم بين اليهود والمجوس ، ولا تؤكل ذبائحهم ، قال ابن عباس : ولا تتكح نساؤهم .
قال القرطبي : والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء أنهم موحدون ويعتقدون
تأثير النجوم ، وأنها فاعلة ؛ ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري بكفرهم للقادر بالله حين
سأله عنهم ، واختار فخر الدين الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب ؛ بمعنى أن الله
جعلها قبة للعبادة والدعاء ، أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها ، وهذا
القول هو المنسوب إلى الكشانيين الذين جاءهم إبراهيم الخليل ، عليه السلام ، رادا عليهم
ومبطلا لقولهم . وأظهر الأقوال ، والله أعلم ، قول مجاهد ومتابعيه ، ووهب بن منبه : أنهم
قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم باقون
على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛ ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم

بالبابئي ، أي : أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك .وقال بعض العلماء :

الصائبون الذين لم تبلغهم دعوة نبي ، والله أعلم .